

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: ٢٦١٧-٥٩٠٨



عقيدة "الفناء" بين غلاة الصوفية وديانات الهند الكبرى "دراسة تحليلية مقارنة"(*)

إعداد

د/ محمد علي سلمان الوصابي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية- أبها

(*)- تاريخ تسليم البحث ٢٠١٩/١٢/١٢م تاريخ قبوله للنشر ٢٠٢٠/٢/١١م.

ملخص البحث: في بحث: (عقيدة الفناء بين غلاة الصوفية وديانات الهندية الكبرى "دراسة تحليلية")، متناولاً ما طرأ على عقيدة غلاة الصوفية في توحيد الربوبية، ووصولهم إلى أعماق الوثنية، وموافقتهم لقول الملاحدة؛ بسبب عقيدة "الفناء"، بزعمهم أن الصوفي إذا وصل إلى مقام الحقيقة فقد وصل إلى "مشاهدة الربوبية"، ويظل يرتقي إلى أن يحقق ثلاث منازل أهمها "الفناء"، ويقصدون بالفناء؛ أن يفنى العبد في الله– تعالى– ويصير كما قال بعضهم-: "سبحاني ما أعظم شأني"، وقال الآخر: "أنا الحق"، وبالتالي يصبح كل ما في الكون من مخلوقات هي "الله"، كما بينت غلوهم في عقيدة "الفناء" وناقشتهم في ذلك، موضحاً موقف أهل السنة والجماعة، مستفيداً من أقوالهم فيما يتعلق بعقيدة غلاة الصوفية في "الفناء".

كما تناولت المصطلحات المشابهة للفناء في الديانات الهندية الكبرى القديمة والمتمثلة في الهندوسية، والجينية، والبوذية، ومن هذه المصطلحات "النرفانا" وما يرادفها من مصطلحات أخرى، كما هو واضح في البحث، مبيناً هذا التشابه مع مصطلح "الفناء" في عقيدة غلاة الصوفية وإن اختلفت الألفاظ. إلا أن المعنى واحد والغاية من ذلك متفقة عند الصوفية الغلاة والديانات الهندية الثلاث.

Summary of the research

Human mortlity doctrineasviewed by the Extermists Sofi fanatics and major lndian religions: "Analytical - study" comparative study"

Summary of the research: In the research: (the doctrine of the courtyard between the Sufi mystics and the great Indian religions, "analytical study"), we discussed the doctrine of ultra-Sufism in the unification of Godliness and their access to the depths of paganism and their acceptance of the saying of the monotheism; If he reaches the place of truth, he has reached the "view of the Lord" and continues to rise until he achieves three houses, the most important of which is the "courtyard". They are meant to be destroyed; The other: "I am the right", and thus become all the universe of creatures are "God", as shown by their glorification in the doctrine of "courtyard" and discussed in That, explaining the position of the Sunnis and the community, taking advantage of their statements regarding the doctrine of ultra-Sufism in the "courtyard."

It also deals with similar terms of the courtyard in the ancient Indian religions of Hinduism, Genetics, and Buddhism. These terms include "nirvana" and other similar terms, as shown in the research, showing this similarity with the term "courtyard" in the doctrine of Sufi Sufism. Words. But the meaning is one and the end is consistent with the Sufi Sufi and the three Indian religions.

المقدمـة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بـالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

أما بعـد:

فمن خلا قراءتي في عقائد غلاة الصوفية وجد أن من أهم عقائدهم عقيدة "الفناء" ومن باب معرفة هذه العقيدة والوقوف على حقيقتها وآثارها على الاسلام والمسلمين، خاصـة وأن فلاسفتهم كابن عربي والبسطامي والحلاج – وغيرهم – يهتمون بها كثيرا مع ما لهم من اهتمام كبير وعلاقة واسعة بالديانات الأخرى.

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في الآتي:

١/ توضيح ما عليه عقيدة "الفناء" عند غلاة الصوفية، وأثرها على توحيد الربوبية.

٢/ بيان مدى تأثر غلاة التصوف بعقيدة "الفناء" واستقائها من ديانات الهند الكبرى.

٣/ تصيح المفاهيم الخاطئة لدى بعض المسلمين عن عقيدة الفناء عند غلاة الصوفية.

أهداف البحث: يهدف البحث ما يأتي:

١/ تقديم رؤية واضحة عن صلة عقيدة "الفناء" عند الصوفية بصحيح العقيدة الاسلامية.

٢/ حقيقة علاقة عقيدة "الفناء" الصوفي بالدين الإسلامي الحنيف.

٣/ بيان مواقف علماء أهل السنة والجماعة من عقيدة "الفناء" الصوفي.

٤/ إبراز علاقة عقيدة "الفناء" الصوفي وصلته التاريخية "بنرفانا" ديانات الهند الكبرى.

أسباب اختيـار الموضـوع: من أسباب اختيار عقيدة "الفناء" عند غلاة الصوفية أن عقيدة "الفناء" ظاهرة منتشرة في كثير من البلدان العربية والإسلامية، وقد نشأت فرقهم وتوسعت في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا، وفي غرب ووسط وشرق آسيا، ولذلك فقد أحببت تناولها بالبحث والدراسة، لمعرفة أصل عقيدة "الفناء" وعلاقتها بالدين من عدمه، ومدى تأثرها بالمصطلحات المشابهة لها في ديانات الهند الكبرى.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات السابقة التي وجدها الباحث:

الدراسة الأولى: البوذية، تاريخها، عقائدها، وعلاقة الصوفية بها، رسالة مقدمة من الطالب/ عبدالله مصطفى نومسوك، لنيل درجة الماجستير في العقيدة، من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، المدينـة المنـورة، إشـراف الـدكتور/ محمـد ضـياء الـرحمن الأعظمـي، وقـد نوقشـت بتـاريخ ٧/ ٥/ ١٤٠٥هـ، وطبعت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض، وتحتوي الرسالة على مقدمة وباب تمهيدي وبابين آخرين.

الباب التمهيدي: ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: البيئة التي ظهر فيها بوذا.

الفصل الثاني: عناصر الديانة البوذية في عصر بوذا.

الباب الأول: وخصصه الباحث للحديث عن بوذا ومذهب البوذيين ويحتوي على خمسة فصول.

الفصل الأول: بيت بوذا وحياته.

الفصل الثاني: الفلسفة البوذية وأخلاقها.

الفصل الثالث: العقائد في البوذية.

الفصل الرابع: الرهبنة في البوذية.

الفصل الخامس: الفرق والمذاهب في البوذية.

الباب الثاني: وخصصه الباحث للحديث عن الصوفية ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالصوفية.

الفصل الثاني: علاقة الصوفية بالبوذية في العقائد والأخلاق.

الفصل الثالث: علاقة الصوفية بالبوذية في العبادات والتقاليد.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الدراسة الثانية: "النرفانا" البوذية والفناء الصوفي، رسالة مقدمة من الطالب/ مازن رستم أحمد أبو علامة، لنيل درجة الدكتوراه، في العقيدة والفلسفة الإسلامية، من قسم أصول الدين، بكلية الدراسات العليا جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمَّان، إشراف الدكتور/ عبدالمقصود حامد عبدالمقصود، وقد نوقشت بتاريخ ٢١/ ٦/ ١٤١٥هـ، وتحتوي الرسالة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: البوذية.

الفصل الثاني: "النرفانا".

الفصل الثالث: التصوف الإسلامي.

الفصل الرابع: "الفناء" في التصوف الإسلامي.

الفصل الخامس: المقارنة بين النرفانا والفناء في التصوف الإسلامي: ويحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث وهي باختصار كالآتي:

المبحث الأول: في نشأة النرفانا في البوذية والفناء في التصوف الإسلامي ومحتوى هذا المبحث باختصار:

أولاً: نشأة النرفانا في البوذية: نشأة في بيئة هندية مشبعة بالمعتقدات الهندوسية، ولا شك أن الديانة الهندوسية تركت بصماتها في أكثر من موضع، بالرغم من أن البوذية ظهرت ثورة على أحكام الهندوسية إلا أنها في كثير من الأمور تنتهي حيث انتهت الهندوسية.

ثانياً: نشأة الفناء في التصوف الإسلامي: إن نشأة الفناء كانت في القرن الثالث الهجري في مجتمع وبيئة اسلامية، انتشر فيها العلم والفكر والفلسفة، وكثر فيها نشاط الترجمة مما مكن بعض أهل التصوف الاسلامي من الاطلاع على فلسفات حضارات أخرى قديمة، والاطلاع على نتاج العقل البشري فيها والتأثر بمحتواها.

المبحث الثاني: في التعريف: هناك تشابه كبير بين النرفانا البوذية والفناء الصوفي في معظم معانيها المختلفة.

وقد ذكرت بعض تعريفات الفناء في المطلب الثالث من المبحث الأول، وبعض تعريفات النرفانا في المطلب الأول من المبحث الثالث من هذا البحث من مصادرها الرئيسية.

المبحث الثالث: في الأنواع والدرجات:

أولاً: أنواع ودرجات النرفانا: في كثير من المقالات البوذية أن النرفانا لا تهدف إلى إرضاء الرب ولا دخول الجنة بقدر ما هي نهاية تضمن سعادة حقيقية تشتمل على بلوغ البوذي إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه والقضاء على جميع رغباته المادية، وليس الاندماج في الله تعالى.

ثانياً: أنواع ودرجات الفناء في التصوف الاسلامي: إن الفناء لا يأتي بغتة للمتصوف، بل لا بد وأن يسبقه مراحل كثيرة من الجهد الصوفي الكبير من التعبد والزهد والنقاء والوجد والسكر الصوفي، وهذا يتطابق تقريبا مع ما ورد سابقا من مراحل درجات النرفانا البوذية.

المبحث الرابع: في الأصول العقائدية: ومن أهم هذه الأصول كما ذكرها الباحث:

أولاً: أن البوذية تعتمد بدرجة كبيرة على التأمل الروحي والفلسفي، وأن هناك طاقة كامنة نستطيع بها ضبط أنفسنا، وأنها تعين البوذي على سبيل بلوغ النرفانا، وكذلك التصوف الإسلامي يعنى كثيرا بالتأمل ويهتم اهتماما بالغا بالروح والنفس وتنقيتها.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الدراسة الثالثة: الهندوسية من خلال المؤلفات الإسلامية، رسالة مقدمة من الطالب/ علي حسين محمد عبدالله، لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، من قسم أصول الدين، بكلية الدراسات الفقهية والقانون، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، إشراف الدكتور/ عامر الحافي، وقد نوقشت بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٩م، وتحتوي الرسالة على مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل التمهيدي: وفيه نبذة عن شبه القارة الهندية.

الفصل الأول: وخصصه الباحث للحديث عن الهندوسية، نشأتها، وعقائدها، وشرائعها.

الفصل الثاني: وخصصه الباحث للحديث عن الحياة الاجتماعية في الهندوسية.

الفصل الثالث: وخصصه الباحث للحديث عن الكتب الهندوسية والبشارات بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – في الكتب الهندوسية.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وبعد اطلاع الباحث على الدراسات السابقة المتمثلة في:

١/ البوذية، تاريخها، عقائدها، وعلاقة الصوفية بها، المقدمة من الطالب/ عبدالله مصطفى نومسوك.

٢/ "النرفانا" البوذية والفناء الصوفي، رسالة مقدمة من الطالب/ مازن رستم أحمد أبو علامة.

٣/ الهندوسية من خلال المؤلفات الإسلامية، رسالة مقدمة من الطالب/ علي حسين محمد عبدالله.

يمكننا القول: إن من أهم الإضافات في هذا البحث والموسوم ب (عقيدة الفناء بين غلاة الصوفية وديانات الهند الكبرى "دراسة تحليلية مقارنة") ما يلي:

أولاً: بَيَّن الباحث أن عقيدة "الفناء" الصوفي غلو في توحيد الربوبية، مستدلاً على ذلك بأقوال بعض علماء التصوف.

ثانياً: أبرز الباحث أنواع الفناء عند غلاة الصوفية.

ثالثاً وَضَّحَ الباحث – بما لا يدع مجالاً للشك – أن عقيدة "الفناء" الصوفي لا علاقة لها بالشرع، مطلقاً، خلافاً لما ذهب إليه غلاة الصوفية.

رابعاً: وَضَّحَ الباحث موقف علماء السلف الصالح قديماً وحديثاً من عقيدة "الفناء" عند غلاة الصوفية.

خامساً: تناول الباحث العلاقة بين (عقيدة الفناء عند غلاة الصوفية وديانات الهند الكبرى "دراسة تحليلية مقارنة") مبيناً علاقته "الفناء" بمصطلح "النرفانا" والمصطلحات الأخرى المرادفة له في ديانات الهندية الكبرى، الهندوسية، والجينية، والبوذية.

سادساً: أكد الباحث أن عقيدة "الفناء" الصوفي نقلها غلاة الصوفية من مصطلح "النرفانا" وغيره من مصطلحات الديانات الهندية المرادفة "للنرفانا" "كالانطلاق"، أو "النجاة" أو " الخلاص" مدعماً ذلك بقول بعض الباحثين في.

سابعاً: بيَّن الباحث أطوار الفناء عند غلاة الصوفية مؤكداً أن "الفناء" عقيدة مليئة بسوء الأدب مع الذات الإلهية، ومخالفة لتوحيدي الربوبية والألوهية على حد سواء.

مشكلة البحث وأسئلته: تكمن مشكلة البحث الرئيسة في السؤال الآتي

س/ ما هي عقيدة "الفناء"، وما علاقة غلاة الصوفية في ذلك بديانات الهند الكبرى؟

ويمكن صياغة الأسئلة الفرعية للمشكلة كالآتي:

١/ ما هي عقيدة "الفناء" عند غلاة الصوفية وما هي أنواعه، وأطواره؟

٢/ هل القول "بالفناء" عقيدة صحيحة؟

٣ / ما موقف علماء السلف الصالح من عقيدة الفناء عند غلاة الصوفية؟

٣/ من أين جاءت عقيدة "الفناء" إلى الصوفية الغلاة، وما علاقتها "بالنرفانا" في ديانات الهند الكبرى؟

منهج البحث: استخدم الباحث المنهج الاستقرائي المقارن، وذلك باستقراء أراء التصوف المتعلقة بالفناء، ومقارنتها بأقوال وأراء أديان الهند الكبرى وبيان مدى تأثر غلاة التصوف منها، وقد يستخدم الباحث المنهج النقدي متى لزم ذلك ملتزماً في ذلك بما هو معلوم من البحث العلمي بالضرورة، مثل الاسناد الى المصادر والمراجع والتوثيقات والمتعلقة بذلك:

تقاسيم البحث: تحتوي خطة البحث على ثلاثة مباحث وهي كالآتي:

المبحث الأول: التعريفات، ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الفناء في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: تعريف الغلو في اللغة والاصطلاح.

المطلب الرابع: تعريف الصوفية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: الفناء في عقيدة غلاة الصوفية، ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أنواع الفناء أو أقسامه عند غلاة الصوفية.

المطلب الثاني: الفناء الصوفي وأثره في توحيد الربوبية.

المطلب الثالث: علاقة الفناء بالذات الإلهية.

المطلب الرابع: موقف أهل السنة والجماعة من عقيدة الفناء عند الصوفية.

المبحث الثالث: الديانات الهندية الكبرى القديمة، وأثرها في ظهور عقيدة الفناء الصوفي ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الديانة الهندوسية وأثرها في ظهور عقيدة "الفناء" الصوفي.

المطلب الثاني: الديانة الجينية وأثرها في ظهور عقيدة "الفناء" الصوفي.

المطلب الثالث: الديانة البوذية وأثرها في ظهور عقيدة "الفناء" الصوفي.

الخاتمـــة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريفات: ويحتوي على ثلاثة مطالب هي كالآتي:

المطلب الأول: تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: العقيدة في اللغة: مأخوذة من الفعل عقد يعقد عقداً، وأصل العقد نقيض الحل(١).

وعقد الحبل: أي جعل فيه عقداً وشدَّه، وعَقَدَ النكاحَ أو البيعَ: أجراه وأتمه وأوجبه، وعقد العهد أو اليمين: وثَّقه وأكده وأحكمه، وعقد الاتفاق: أبرمه، وعقد النية، قصدها، وعقد قلبه على الشيء لزمه وعكف عليه(٢).

ثانياً: العقيدة في الاصطلاح بمعناها العام: من أهم تعريفاتها أنها: "ما يعتقده الشخص في قرارة نفسه ويعقد العزم عليه ويراه صحيحاً سواء أكان صحيحاً في حقيقة الأمر أم باطلاً"(٣).

وهذا التعريف يشمل كل عقيدة سواءً أكانت عقيدة سماوية تم تحريفها كاليهودية والنصرانية، أو وضعية من وضع البشر كالهندوسية والبوذية وغيرهما.

ثالثاً: العقيدة الإسلامية اصطلاحاً: للعقيدة الإسلامية في الاصطلاح العديد من التعريفات منها: أنها "المحجة البيضاء التي تركنا عليها المصطفى – صلى الله عليه وسلم – سهلة في تطبيقها واضحة في دلالاتها لا يزيغ عنها إلا المبتدعون"(٤).

المطلب الثاني: تعريف الغُلُوِّ في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الغُلوُ في اللغة: تجاوز الحد، يقال: غلا في الدِّين، أو غلا في الأمر، يغْلو غُلُواً: أيْ: تجاوز حَدَّهُ، وغلا في الدين غلوًّا، أيْ: تشدَّدَ وتَصَلَّبَ حتى جاوز الحد، وأفرط. والغُلاةُ جمع غال، وهو المتعصِّبُ الخارجُ عن الحد في الغلو من المبتدعة ونحوهم، قال تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة آية: ٧٧]، وغلا الناسُ في الأمر، أي: جاوزوا حدّه، كغلوّ اليهود في دينها(٥).

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق د/ مهدي المخزومي، وآخرون دار الهلال (د. ط، م، ت)، (١/ ١٤٠)، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت (ط٣: ١٤١٤هـ)، (٣/ ٢٩٦)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. م، ط، ت) (٨/ ٣٩٤)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب (ط١: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، (٢/ ١٥٢٦-١٥٢٨).

(٢) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي (١/ ١٤٠)، لسان العرب، ابن منظور (٣/ ٢٩٦)، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (٢/ ١٥٢٦-١٥٢٨).

(٣) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية – جدة (ط٤: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (١/ ١٣٠).

(٤) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، (١/ ١٦٢).

(٥) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي (٤/ ٤٤٦)، تاج العروس، مرتضى الزَّبيدي (١/ ٢٦٥، ٣٩/ ١٧٨)، لسان العرب، ابن منظور (١٥/ ١٣١)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة (د. ط، ت، م) (٢/٦٦٠).

ثانياً: الغُلُوُّ في الاصطلاح: "هو مجاوزة حدود ما شرع اللهُ لعباده سواء في العقيدة أو العبادة"(١).

المطلب الثالث: تعريف الفناء في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الفناء في اللغة: من الفعل فَنِيَ يفنى فناء فهو فانٍ، والفناء نقيض البقاء، يقال: فني الشيء أي؛ باد وانتهى وجوده، وفني في عمله: بذل عليه جهده لإنجازه(٢).

والفناء: مصدر فَنِيَ إذا اضمحل وتلاشى وعُدِمَ قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن آية: ٢٦](٣).

ثانياً: الفناء في الاصطلاح: من أهم تعريفات "الفناء": أنه "الغَيبَة عن صفات البشرية بِالْحملِ المُوله من نعوت الإلهية وهو أن يفنى عنه أوصاف البشرية التي هي الجهل وَالظُّلم"(٤)؛ فالتعريف يتكلم عن ظلم الإنسان لنفسه بسبب حمله الأمانة، والذي أسماه بالحمل المولة مشيراً إلى قول الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب آية: ٧٢].

وقيل في تعريف "الفناء" " تلاشي الصوفي عن وجوده الحسي، ويستلزم ذلك "الفناء" البقاء لاتحاده بالحياة الربانية"(٥)، و"للفناء" معانٍ أخرى(٦).

وخلاصة التعريف: أن ذلك الفناء الحسي للصوفي يستلزم مقام البقاء بسبب الاتحاد التام بحياة الرب الباقية عن طريق الحلول أو وحدة الشهود والله اعلم.

المطلب الرابع: تعريف الصوفية: اختلف العلماء في أصل كلمة (الصوفية)، فقيل: إنها من الصفا، وقيل: نسبة الى الصفة، وقيل: من لبس الصوف، لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد(٧).

وغلاة الصوفية هم متصوفة الفلاسفة الذين يَدُوْرُوْن بثيابهم المرقعة والخشنة ووجوههم المصفرة لهم مقالات ضد الشرع وخلافه، وينهقون عند إدراك شيء من تلك المعارف الشيطانية

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (ط: ١٤٢١ه) (١/ ٧٠).

(٢) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي (٨/ ٣٧٦)، لسان العرب، ابن منظور (١٥/ ١٦٤)، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، (٣/ ١١٧٤٧).

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت (ط٣: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، (١/١٧٤).

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط، ت) (١/ ١٢٦).

(٥) ينظر: الصوفية في الاسلام، رينولد نيكلسون، ترجمه وعلق عليه/ نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٢: ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م) (١/ ١٣٨).

(٦) ينظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، شيخ الاسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق/ موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (ط٣: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) (١/ ٢٢٦)، والتعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي (١/ ١٢٣- ١٢٦).

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية(د. ط) (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) (١١/ ٦، ٢٩).

نهيقاً منكراً، ويسمون ذلك حالاً وهو عند التحقيق حال حائل عن طريق الدين وخيال مائل عن سبيل المؤمنين(١).

ولذلك فإن التصوف أصبح طريقاً إلى الدنيا، ومدرجاً إلى التلاعب بأحكام الشرع، ومسلكاً إلى اللهو والخلاعة والسحر والدجْل والتَّنْجيم، وأصبح جسراً يعبره كل من يرغب في تعظيم الناس له واستعبادهم، وأكل أموالهم بالباطل، وقد دخل في التصوف من لا أصل له من الأعاجم والملاحدة وغيرهم، وانتسبوا لأهل بيت النبي زوراً وبهتاناً، ووضعوا لأنفسه القداسة والتعظيم، وزعموا أن لهم كرامات وكشوفات، ويغْلُون في الأقطاب ولأولياء، وقد يرفعونهم إلى مقام الألوهية، وربما يزيدون على ذلك بما هو أشدُّ كفراً من ادِّعاء وحْدة الوجود، والحُلول والاتحاد، حتى صارت الصوفية من الفرق البِدْعِية، واستطاع غلاة الصوفية أن يقيموا لهم إقطاعات دينية، وصنعوا ممالك تربعوا عليها، ثم ورثوها لأبنائهم من بعدهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الثاني: "الفناء" في عقيدة غلاة الصوفية: ويحتوي على أربعة مطالب وهي كالآتي:

المطلب الأول: أنواع الفناء أو أقسامه عند غلاة الصوفية: إن "للفناء" ثلاثة أنواع؛ منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم، وسنذكر في ما يلي ما هو محمود منها بصورة مختصرة، وأما ما يتعلق بالفناء المذموم عند غلاة الصوفية فسيتم تناوله بصورة أوسع كون محور دراستنا في هذا البحث والأقسام كالآتي:

النوع الأول: أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبخوفه عن خوف ما سواه وبرجائه عن رجاء ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبمحبته عن محبة ما سواه؛ وهذا هو حقيقة التوحيد والإخلاص الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه وهو تحقيق " لا إله إلا الله " فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله(٢).

ولا شك أن هذا النوع من الفناء محمود كونه يمثل توحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة، ومن تبعهم، وهو عند غلاة الصوفية توحيد العامة بمعنى أن توحيد الخاصة وخاصة الخاصة من غلاة الصوفية غير هذا التوحيد إذ لا يتناسب معهم هذا النوع من التوحيد بل توحيدهم أعلى من توحيد العامة فخالفوا بتوحيدهم هذا اصل التوحيد الذي جاءت به الأنبياء والرسل وهو توحيد الألوهية أو العبادة، والله اعلم.

---

(١) ينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق/ عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت (ط: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (١/ ٢٢١).
(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٦٩).

النوع الثاني: أن يفنى عن شهود ما سوى الله – تعالى– وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام(١) و"الفناء" و"الجمع"(٢) ونحو ذلك.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية(٣): وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه المعبود لا إله إلا هو الذي من أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر بطاعته – جل وعلا – وطاعة رسله – عليهم السلام – ونهى عن معصيته ومعصية رسله فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه – جل وعلا – خلقاً وأمراً كان أتم معرفة وشهوداً وإيماناً وتحقيقاً من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر وشهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة وهو الشهود الصحيح المطابق لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا كان معذورا للعجز لا محموداً على جهة النقص والجهل(٤).

قال أيضاً: النوع الثالث من الفناء: "وهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى أن وجود الخالق هو وجود المخلوق فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة أهل الوحدة"(٥). إي؛ وحدة الوجود(٦).

ومن كلامه أيضاً أن النوع الثالث من أنواع الفناء هو: الفناء عن وجود السَّوَى وهو قول الملاحدة أهل وحدة الوجود كصاحب الفصوص(٧)، أي؛ ابن عربي، وأتباعه الذين يقولون وجود الخالق هو وجود المخلوق وَمَا ثَمَّ غَيْرٌ وَلَا سِوَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فهؤلاء قولهم أعظم كفراً من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام.

---

(١) الاصطلام في اصطلاح الصوفية: هو وجد غامر يرد على العقول فيسلبها ويستلبها بقوة سلطانه وقهره. ينظر: اللمع، لابي نصر السراج، تحقيق/ عبد الحليم محمود، وطه عبد الباري سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد (١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م) (١/ ٤٥٠).

(٢) الجمع هو: ما سلب عنْك، ومعناه أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة العبودية، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع. ينظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق/ عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة (د. ط، ت) (١/ ١٦٦).

(٣) هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي ولد سنة ٦٦١ه بحران، قدم مع والده إلى دمشق، سمع الحديث من عدد من علماء عصره، من مصنفاته مجموع الفتاوى ومنهاج السنة ودرء تعارض العقل مع النقل، توفي معتقلًا في قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. ينظر: العبر في خبر من غبر. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق/ أبي هاجر محمد العبد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) (٤/ ٨٤).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ٣٧٠).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٤٣).

(٦) وحدة الوجود هي: "الحلول والاتحاد وعدم التفرقة بين الله وبين غيره من الموجودات". فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي (٣/ ١٠٠٥).

(٧) صاحب الفصوص: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد، المعروف بابن عربي، برع في علم التصوف، وغلا فيه غلوا كبيرا، وله فيه العديد من المؤلفات، وكلامه مريب وله شطحات، وكان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ. ينظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (ط١: ١٩٧٤م) (٣/ ٤٣٥)، طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق/ علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة (ط١: ١٣٩٦ه) (١/ ١١٣، ١١٤).

وأيضاً فإن ولاية الله هي موافقته بالمحبة لما يحب والبغض لما يبغض والرضا بما يرضى والسخط بما يسخط والأمر بما يأمر به والنهى عما ينهى عنه والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه كما في صحيح البخاري عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إن الله قال: «إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته»(١).

فالملاحدة والاتحادية يحتجون بهذا الحديث على قولهم: بقوله: «كنت سمعه وبصره ويده ورجله» والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة:

الوجه الأول: قوله «من عادى لي ولياً» فقد بارزني بالمحاربة فأثبت معادياً محارباً وولياً غير المعادي.

الوجه الثاني: قوله «وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» فأثبت عبداً متقرباً إلى ربه ورباً افترض عليه فرائض

الوجه الثالث: قوله «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» فأثبت متقرباً ومتقرباً إليه ومحباً ومحبوباً غيره وهذا كله ينقض قولهم: بأن الوجود واحد(٢).

الوجه الرابع: قوله «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»، إلى آخره فإنه جعل لعبده بعد محبته لله – جل وعلا – هذه الأمور وهو عندهم أي؛ "عند غلاة الصوفية" قبل المحبة وبعدها واحد وهو عندهم هذه الأعضاء بطنه وفرجه وشعره وكل شيء لا تعدد عندهم ولا كثرة في الوجود(٣).

وهذا الفناء شركي إلحادي وفيه تعطيل عن وجود السّوى بحيث يرى أن وجود الخالق هو عين وجود المخلوق، وأنه واحد بالعين، وهذا قول أصحاب وحدة الوجود والاتحاد، وهم أضل عباد الله كما هو مذهب ابن عربي.

المطلب الثاني: "الفناء" الصوفي غلو في توحيد الربوبية:

التمهيد: إن الفناء عند غلاة الصوفية غاية السلوك، وأعلى المطالب، ونهاية المقاصد؛ ويقصدون به تلاشي النفس أمام شهود ربوبية الله، وتقديره المحكم للكون؛ ويسمون ذلك "شهود الذات"، فإنّ

(١) الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت (ط٣: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، (٥/ ٢٣٨٤، رقم: ٦١٣٤).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (٢/ ٣٧١ ، ٣٧٢).
(٣) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٧٠ – ٣٧٢).

الذي يدندن حوله غلاة الصوفية، هو الفناء في الربوبية، وهو الفناء عن شهود شيء من المخلوقات إذا شهد قلب الفاني وجود الخالق، لا "ذات الخالق" كما يزعمون وكتبهم مشحونة بهذا النوع من الفناء، ومن ذلك قول أبو يزيد البسطامي(١)، حيث قال: "سبحاني ما أعظم شأني"(٢).

وقال الحلاج(٣): "أنا الحق"، ولهم أقوال أخرى(٤).

ويعتقد الصوفي في مرحلة "الفناء" تلاشي وجوده الحسي، ويستلزم ذلك "الفناء" "البقاء" لاتحاده بالحياة الربانية والغاية القصوى عند الصوفي باختصار أن يصير ربانياً؛ ويؤكد ذلك قول الحلاج: "ما في الجبة إلا الله" وقوله: "أنا الحق" والتي لن ينساها له الإسلام(٥).

ولا شك أن قول البسطامي والحلاج وغيرهما من غلاة الصوفية يفضي إلى الكفر الصريح في توحيد الربوبية والعياذ بالله؛ بل إن ذلك أشد كفراً، إذ يعتقد هؤلاء أنهم بفنائهم في الرب، صاروا ربانيين – بزعمهم – وبالتالي فلا فرق بين المخلوق "الفاني" في الرب، والخالق؛ إذ أن الفاني من غلاة الصوفية اكتسب صفة الربانية؛ وذلك من فساد عقائدهم – تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ويزعم غلاة الصوفية أن في تحقيق الصوفي "لفناء" نفسه الذاتية تحقيق لأحديته الأساسية بالله – جل وعلا – لأن أعلى درجات "الفناء" الصوفي هي "الفناء" في الذات الإلهية؛ فليس حسبك أن تفر من جميع ما هو آدمي، بل لا بد لك من الولوج الى الحياة السرمدية "لله" بارئ الكون والبقاء في "الله" بعد "الفناء" عن النفس(٦).

---

(١) هو: أَبُو يزِيد طيفور بن عِيسَى بن سروشان، شيخ الصوفية، له نبأ عجيب وحال غريب، وهو من كبار المشايخ، وَكَانَ جده سروشان هَذَا مجوسيا فَأسلم وَهُوَ من أهل بسطَام (ت: ٢٦١ه) وقيل (٢٣٤ه). ينظر: طبقات الصوفية، محمد بن الحسين بن محمد السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (١/ ٦٧، ٦٨)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (ط١: ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م)، (٢/ ٣٤٦).

(٢) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارث المكي (ت: ٣٨٦هـ)، تحقيق/ عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط٢: ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م)، (٢/ ١٢١)،فوائح الجمال وفواتح الجلال، نجم الدين كبرى (ت: ١٢٢١هـ)، تحقيق/ يوسف زيدان، دار سعاد الصباح، الكويت (ط١: ١٩٩٣) (١/ ٥٣).

(٣) هو: الحسين بن منصور الحلاج، من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره، وقد كفره كثير من العلماء؛ بسبب أقواله، وتبرأً مِنه سائر الصوفية، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، قتل بِبَغْدَاد يَوْم الثُّلَاثَاء (٢٤ ذي القعدة ٣٠٩ه). ينظر: طبقات الصوفية، السلمي، (١/ ٢٣٧)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت: ٦٨١ه)ـ، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د. ط) (الطبعة: ١٩٠٠م)، (٢/ ١٤٠)، سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (د. م) (ط٣ : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)،(١٤/ ٣١٣)، ميزان الاعتدال الذهبي (١/ ٥٤٨).

(٤) ينظر: قوت القلوب، محمد بن علي المكي (٢/ ١٢١)،فوائح الجمال، نجم الدين كبرى (١/ ٥٣).

(٥) ينظر: الصوفية في الإسلام، رينولد نيكلسون (١/ ١٣٨).

(٦) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٤٤، ١٥٠).

قال الغزالي[(١)]- رحمه الله تعالى-: "فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين"[(٢)].

أطوار الفناء الصوفي: إن "الفناء" الصوفي ذو أطوار مختلفة يمكن تلخيصها في ما يلي:

الطور الأول: تغير معنوي للروح بإفناء ميولها ورغباتها جميعاً.

الطور الثاني: تجريد عقلي أو فناء العقل عن المدركات والأفكار والأفعال والأحاسيس بانحصاره في التفكير في الله والتفكير في الله معناه التأمل في الصفات الإلهية.

الطور الثالث: إبطال جميع قوى الفكر الواعي واعلى درجات الفناء ولا يصل إليها إلا حين لا يدرك في "الفناء" "الفناء" وذلك ما يدَّعه الصوفية "فناء الفناء" فالصوفي قد شعر آنئذٍ بالتأمل في الوجود الرباني، والدرجة القصوى للفناء أنفناء الذات تمهيدا للبقاء في الله[(٣)].

ومن المؤكد أن ولوج الصوفي إلى الحياة السرمدية "بفنائه" في الخالق – سبحانه – من أجل البقاء الأبدي ومن المعلوم أن ذلك اعتقاد فاسد تأصل لدى غلاة الصوفية من ديانات الهند كما سيأتي معنا إن شاء الله – تعالى – في المبحث الثالث.

كما أن عقيدة "فناء الفناء" عند الصوفية الغلاة بوصولهم الى أعلا درجات "الفناء" وحينئذٍ يستمر الفاني في الوجود الرباني؛ فذلك هو توحيد المشركين؛ الذي لا يُدْخِل صاحبه الإسلام ولا يعصم ماله ودمه وعرضه، ولا ينجي صاحبه من عذاب الله يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن "طوائف من أهل التصوف المنتسبين الى المعرفة والتحقيق والتوحيد، غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد، وهو أن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، لا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية، بحيث يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها، ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد. ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً"[(٤)].

---

(١) هو: محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي ويلقب بزين الدين وبحجة الإسلام، أحد أئمة الشافعية في التصنيف وكان صوفيا، ولد رحمه الله بطوس سنة (٤٠٥هـ) وتوفي فيها سنة (٥٠٥هـ).ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق/ محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م، ط٢: ١٤١٣هـ) (٦/ ١٩١ - ٢٠١)، وطبقات الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق/ أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (د.ط، ١٤١٣ه - ١٩٩٣م) (١/ ٥٣٣).

(٢) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت (د.ط، ت) (٤/ ٤٣١).

(٣) ينظر: الصوفية في الإسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ٦٦).

(٤) التدمرية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق/ محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض (ط٦: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) (١/ ١٨٦، ١٨٧).

وقال القشيري[١]: ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً؛ ولا رسماً؛ يقال: أنه فنى عن الخلق وبقي في الحق[٢].

فإذا فنى العبد عن صفته، يرتقي عن ذلك بقائه عن رؤية فنائه؛ وأفناه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق[٣].

ومن وجهة نظر غلاة الصوفية فإن عقيدة "الفناء" الصوفي لا تعني عندهم عقيدة فاسدة بل لها ناحية إيجابية، كونها تعني "البقاء"، لأن؛ "الفناء" عن شيء يقتضي – بزعمهم – البقاء بشيء آخر، بمعنى أن "الفناء" عن الصفات البشرية يستلزم البقاء بالصفات الإلهية، "والفناء" عما سوى الله –جل وعلا – من المخلوقات يستلزم البقاء بالله – سبحانه.

قال الغزالي[٤]: "فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين"[٥].

إن "الفناء" في توحيد الربوبية عند غلاة الصوفية هو غايتهم التي يصبون اليه، وقد يصل الأمر عند من شهد هذا النوع من "الفناء" وشهد أيضاً القدر، أن يسير مع أقدار الله – تعالى – حيث سارت به الأقدار محبة منه ورضاً، فهو مع اعداء الاسلام إن انتصروا على المسلمين ومع من يفعل المعاصي ويرتكب المحرمات، وهو أيضاً مع من عبد الأصنام، لأن هؤلاء جميعاً خاضعون لأقدار الله – بزعمهم – بل من عقيدتهم أن الصوفي إذا استسلم للقدر فذلك غاية العبودية ونتيجة لذلك فإن التكاليف تسقط عن بعض الأولياء من غلاة الصوفية فلا واجب يجب عليهم ولا مُحرَّم يحرم عليهم، كما ينتشر فيهم الشرك بالله – جل وعلا – بمختلف صوره؛ فيا ليت شعري أين تحقيق التوحيد عندهم.

---

(١) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوريّ القشيري، من بني قشير بن كعب، شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين، من كتبه " التيسير في التفسير " ويقال له " التفسير الكبير" كانت إقامته ووفاته بنيسابور (ت: ٤٦٥ ه) . ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (د. ط) (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) (١٩/ ٦٣، ٦٤)، والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين (د. م) (ط١٥: ٢٠٠٢م) (٤/ ٥٧).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٧١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٧٢).

(٤) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي ويلقب بزين الدين وبحجة الإسلام، أحد أئمة الشافعية في التصنيف وكان صوفيا، ولد رحمه الله بطوس سنة (٤٠٥هـ) وتوفي فيها سنة (٥٠٥هـ).ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي (٦/ ١٩١ - ٢٠١)، وطبقات الشافعيين، ابن كثير (١/ ٥٣٣).

(٥) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي (٤/ ٤٣١).

المطلب الثالث: علاقة عقيدة الفناء بالذات الإلهية:

التمهيد: إن عقيدة الفناء عند غلاة الصوفية نسف للتوحيد لاعتقادهم أن ذات العبد تفنى في ذات الرب، وتفنى جهة العبد البشرية في الجهة الربانية، فتزول الصفات البشرية، وتبقى الصفات الإلهية، فيكون العبد والرب شيئاً واحداً.

وقال الغزالي: إن الصوفي "لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق"[(١)].

وهذا يعني أن "الفناء" عند غلاة الصوفية عدم إحساس الصوفي بما حوله من المخلوقات وذلك بسبب مشاهدته الحق، وبالتالي فإن عقيدتهم مبناها عقيدة "وحدة الوجود" بما فيها من الكفر والإلحاد؛ لأن أصحاب وحدة الوجود، يعتقدون أن الكون بما فيه من جبال وسماء وأرض وشجر وبحار وكلاب وخنازير وقردة وغيرها، كل هذه في عقيدتهم هي الله بعينه؛ فهم لا يرون – حسب زعمهم – إلا الله كما هو مقرر في عقيدتهم "وحدة الوجود" تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قال القشيري: ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً؛ ولا رسماً؛ يقال: أنه فنى عن الخلق وبقي في الحق[(٢)].

ويرى القشيري: أن من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً؛ ولا رسماً؛ يقال: أنه فنى عن الخلق وبقي في الحق[(٣)].

إن "الحقيقة" التي يعرِّفُها غلاة الصوفية بأنها "مشاهدة الربوبية"، هي في الحقيقة الوصول إلى أعماق الوثنية والحلول، فإذا وصل الصوفي – بزعمهم – إلى مقام الحقيقة يمكنه أن يظل يرتقي إلى أن يحقق: "الفناء" في "الله".

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق أو سبحاني أو ما في الجبة إلا الله إذا فني بمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده، وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن عرفانه"[(٤)]

وأما "اللقاء" و"البقاء" فإن غلاة الصوفية يقصدون بذلك أن العبد من خلال تلك المنازل تتجلى عظمة الخالق – جل وعلا – على قلب السالك فلا يرى أمامه إلا الله، ولا يجد في الوجود جميعاً إلا واجب الوجود – جل وعلا –، وتمحى أثار الموجودات من أمام عينيه إلا وجود الله – جل وعلا – وهذه الدرجات هي ما عبر عنه الحلاج بقوله: "ما في الجبة إلا الله"[(٥)].

---

(١) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي (٤/ ٢٣٥).
(٢) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٧١).
(٣) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٧١).
(٤) مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (١٠/ ٣٣٩).
(٥) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي (٣/ ٩٧٠).

المطلب الرابع: موقف أهل السنة والجماعة من عقيدة الفناء عند غلاة الصوفية:

من المؤكد أن لعلماء أهل السنة والجماعة موقفاً واضحاً وثابتاً من عقيد "الفناء" الصوفي ويتضح موقفهم من خلال ما يأتي:

أولاً: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من "الفناء" عند غلاة الصوفية، وسأكتفي هنا بكلام مختصر لما سبق بيانه في الحديث عن أنواع الفناء حيث قال:

النوع الثاني: أن يفنى عن شهود ما سوى الله وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام و"الفناء" و"الجمع" ونحو ذلك.

وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء وخالقه وأنه المعبود لا إله إلا هو والذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وأمر بطاعته – جل وعلا – وطاعة رسله – عليهم السلام – ونهى عن معصيته ومعصية رسله فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه – جل وعلا – خلقاً وأمراً كان أتم معرفة وشهوداً وإيماناً وتحقيقاً من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر وشهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة وهو الشهود الصحيح المطابق لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا كان معذورا للعجز لا محموداً على جهة النقص والجهل[(١)].

ثم قال: النوع الثالث: "الفناء عن وجود السوى؛ وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون: وجود الخالق هو وجود المخلوق وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر. فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام"[(٢)].

ولا شك أن هذا الفناء شركي إلحادي لأن الفاني يرى أن وجود الخالق هو عين وجود المخلوق، وأنه واحد بالعين في عقيدة أصحاب وحدة الوجود، وهي عقيدة كفر وضلال، بل هم أضل من النصارى، لأن النصارى خصوه بعيسى، وأصحاب وحدة الوجود جعلوا اتحاد الله – تعالى – في جميع المخلوقات، وجعلوا اتحاده – جل وعلا – بالمخلوقات أزلياً أبديا

ثانياً: موقف قال ابن قيم الجوزية[(٣)]: من "الفناء" عند غلاة الصوفية، فقال: ويعرض للسالك على درب الفناء معاطب، ومهالك؛ منها أن الفاني إذا اقتحم عقبة الفناء ظن أن صاحبها قد سقط عنه الأمر، لتشويشه على الفناء، ونقضه له، والفناء عنده غاية العارفين، ونهاية التوحيد، فيرى ترك كل ما أبطله وأزاله من أمر ونهي أو غيرهما، ويصرح بعضهم بأنه إنما يسقط الأمر والنهي عمن شهد

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ٣٧٠).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٧٠).
(٣) هو: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب، أحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، أطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، له مؤلفات كثيرة منها: إعلام الموقعين وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ت: ٧٥١ هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (٢/ ١٩٥ - ١٩٧)، والأعلام، الزركلي (٦/٥٦).

الإرادة، ولم يعلم هذا المغرور أن غاية ما معه من الفناء هو توحيد أهل الشرك الذي أقروا به ولم يكونوا به مسلمين البتة، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف آية: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان آية: ٢٥]، ومن كان هذا التوحيد والفناء غاية توحيده، انسلخ من دين الله، ومن جميع رسله وكتبه(١).

ثالثاً: إن مصطلح "الفناء" وفقاً لما عليه عقيدة الصوفية الغلاة؛ لم يرد في كتاب الله – جل وعلا – ولا في سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وإنما ورد الفعل فني في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وفي هذه الآية بيَّن الله – جل وعلا – أن كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام، وبناء على ذلك فإن الفناء المذكور في الآية، ليس هو الفناء الذي يعتقد به غلاة الصوفية وتشيرون إليه.

رابعاً: إن مصطلح الفناء الصوفي لم يرد في كلام الصحابة – رضي الله عنهم – ولا في كلام التابعين – رحمة الله عليهم –، ولا استعملوا لفظ "الفناء" في المعنى الذي يشير إليه الصوفية البتة، ولا ذكره مشايخ الطرق المتقدمون، ولا جعلوه غاية (٢).

المبحث الثالث: الديانات الهندية الكبرى وأثرها في ظهور عقيدة الفناء:

التمهيد: من المؤكد أن الإسلام الذي خرج من حدود الجزيرة العربية بسرعة كبيرة بعد ظهوره بفترة قصيرة سرعان ما أخذ يتقدم في كل ناحية حتى بلغ تخوم الصين وفتح بلاد السند وحصلت علاقات تجارية واقتصادية بين المسلمين والشعوب الأخرى المفتوحة من الناحية الفكرية والحضارية والأخلاق؛ كما بدأ المسلمون بنقل وترجمة كتب ديانات الهندية الكبرى؛ كالهندوسية، والجينية، والبوذية وغيرها، واتسعت دائرة العلوم، مما كان له تأثيراً كبيراً على التصوف؛ بسبب انتشار لطوائف من تاركي الدنيا والسائحين من الهنود وغيرهم في العراق وسائر البلاد الإسلامية الأخرى وأخذوا يتحدثون في القرن الثاني عن رهبان وسياح ممن لم يكونوا مسلمين ولا نصارى وهم الذين سماهم الجاحظ (رهبان الزنادقة) واعتبرهم من زهاد المانوية(٣).

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (٣/ ١٧٩، ١٨٠).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (د. م) (ط١: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، (٢٣/ ٣٨)، مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (٣/ ١٣٠، ٣٥١).

(٣) ينظر: التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت: ١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان (ط١: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (١/ ١١٨)، والمانوية: هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك لأن ماني أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام. ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. ينظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي (د. ط، م) (٢/ ٤٩).

قال الجاحظ[١]: إن هؤلاء سياح والسياحة بالنسبة لهم في حكم التوقف والاعتزال في الصوامع ودور العبادة، وتلك الجماعة يسافرون دائماً اثنين اثنين ويسيحون بحيث إذا رأى الإنسان واحداً منهم يتيقن أن الثاني ليس ببعيد عنه إلى حد ما، وسيظهر قريباً، ولهؤلاء السياح خصال أربع – حسب زعمهم –: القداسة والطهر والصدق والمسكنة.

ومما لا شك فيه أن هؤلاء السياح أثروا في غلاة الصوفية كما أثر فيهم السياح والمتجولون والمرتاضون من البوذيين الذين كانوا يذيعون قصة بوذا ويقدمونه مثالاً للزهد والإعراض عن الدنيا، بحيث إن المرتاضين كانوا يعَرِّفُونه في كتاباتهم بالمثال الكامل للزهد؛ وهو الأمير القوي الشكيمة الذي رمى الدنيا ظهرياً وحرر نفسه[٢].

ومن المؤكد أن بعض ديانات الهند الكبرى ومنها البوذية كانت قد انتشرت في شرق إيران؛ أي بلخ وبخارى وفي ما وراء النهر قبل الإسلام بأكثر من ألف سنة، وكانت لها صوامع ومعابد مشهورة، وكانت معابد بلخ البوذية أكثر شهرة، وصارت بلخ ونواحيها من أهم المراكز الصوفية في القرون الإسلامية الأولى، وكان صوفيو خراسان يعدون في الرعيل الأول من الصوفية في الشجاعة الفكرية والحرية، والعقيدة المعروفة بالفناء في الله المقتبسة من أفكار ديانات الهند الكبرى إلى حد كبير والتي انتشرت على الأكثر بواسطة صوفية خراسان؛ مثل أبي يزيد البسطامي، ومن نهج نهجه.

ولا شك أن معتنقي ديانات الهند الكبرى، كان لهم أن يترهبوا، ويتجردوا عن الدنيا، ويختارون العزلة والخلوة، ويعذبون أنفسهم، بالمجاهدات والرياضات، ويتعمقون في المكاشفات، ويتحملون المشاق، لأن زعماءهم، ومرشديهم فعلوا ذلك بزعمهم للحصول على المعرفة، واكتشاف الحق، للوصول إلى طمأنينة القلب، والاتحاد بالخالق فتشبهوا بهم، واقتدوا بآثارهم، وساروا على نهجهم[٣].

المطلب الأول: الديانة الهندوسية وأثرها في ظهور عقيدة الفناء الصوفي:

الهندوسية أو الهندوكية وتسمى البرهمية[٤]: ومن المعلوم أنها من الأديان الوثنية؛ وقد اشتهرت بتعدد الآلهة وعبادتها من غير الله – جل وعلا.

---

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ؛ كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، له تصانيف كثيرة، منها: كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، وسحر البيان (ت: ٢٥٥هـ - ٨٦٩م) في البصرة، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. ينظر: الأعلام، الزركلي (٥/ ٧٤).

(٢) التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان إلهي (١/ ١١٨، ١١٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١/ ١١٩).

(٤) البراهمة: نسبة إلى الإله: (براهما)، والبراهمة هم أعلى الطبقات في المجتمع الهدوسي، ولهم الكهانة والمراتب العليا، ويزعمون أنهم خلقوا من فم الإله براهما. وهذه الديانة يعتنقها معظم أهل الهند، ومن أبرز معتقداتهم: الكارما (قانون الجزاء)، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود. ينظر: الملل والنل، الشهرستاني (٣/ ٩٦)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري (ت: ٦٦٨هـ)، تحقيق/ محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (١/ ٤٤١).

تعريف الانطلاق: للانطلاق تعريفات كثيرة ومتعددة منها أنه: حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة، ولم تعد تحتاج الى تناسخ جديد، فيحصل لها النرفانا أو النجاة؛ وتتحد الروح بالخالق برهما كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم(١).

تعريف "النرفانا": هو "إخماد شهوات الفرد كلها، وما يترتب على ذلك الإنكار للذات من ثواب وأعني به الفرار من العودة إلى الحياة"(٢). وللنرفانا تعريفات أخرى(٣).

والناظر في تعريفات النرفانا في ديانات الهند الكبرى، وتعريفات الفناء في عقيدة غلاة الصوفية، يجد أنها تتفق الى حد كبير؛ فمثلا من تعريفات الفناء: "أنَّه إفناء هوى النفوس وشهواتها وعواطفها وكل ما تحب فيما يُحِبهُ الله ويريده ويأمر به ليعيش الصُّوفِي متخلقا بِخلق الله"(٤).

ومن تعريفات الفناء أيضاً: "هو أن يفنى عَنهُ الحظوظ فَلَا يكون لَهُ فِي شَيْء من ذَلِك حَظّ، وَيسْقط عَنهُ التَّمْيِيز فنَاء عَن الاشياء كلهَا شغلا بما فنى بـه"(٥). وبالتالي نستطيع أن نجزم بأن غلاة الصوفية أخذوا عقيدة الفناء من ديانات الهند الكبرى.

قال البيروني(٦): إن من وصل الى حالة "الخلاص"أي؛ "النرفانا"، يكون قادراً على الانتقال حيث أحب.

وقال أيضاً: وقد فسر غلاة الصوفية قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ (الكهف آية: ٨٤)، بأنه؛ أي؛ الصوفي إن شاء طُوِيت له؛ أي الأرض، وإن شاء مشى على الماء والهواء، ولا تقاومه الجبال في القصد.

وإلى قريب من هذا يذهب الصوفية، فقد حكي في كتبهم عن بعضهم: أنه وردت علينا طائفة من الصوفية، وجلسوا بالبعد عنا، وقام أحدهم يصلي فلما فرغ التفت وقال لي: يا شيخ، تعرف هنا موضعاً يصلح لأن نموت فيه؟ فظننت أنه يريد النوم، فأومأت الى موضع، فذهب وطرح نفسه على قفاه وسكن، فقمت إليه وحركته فإذا هو قد برد(٧).

---

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية (د. م) (ط١٣: ٢٠٠٠م) (١/ ٦٤).
(٢) قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت: ١٩٨١ م)، تقديم/ الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة/ الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس(د. ط، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (٣/ ٨٤).
(٣) ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس(٣/ ٨٤)، الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ٣٠).
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي (١/ ٤).
(٥) المصدر السابق (١/ ١٢٣).
(٦) هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتبا كثيرة جدا، متقنة، (ت:٤٤٠ ه)، وقيل غير ذلك في وفاته. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (٨/ ٩١)، الأعلام، الزركلي (٥/ ٣١٤).
(٧) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، محمد بن أحمد البيروني (ت: ٤٤٠هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد، الهند (د. ط) (١٣٧٧ه – ١٩٥٨م) (١/ ٦٢، ٦٣).

ويظهر من خلال كلام البيروني السابق أنه عقد مقرنة بين من وصل الى أن من وصل إلى حالة الخلاص، أي؛ "النرفانا" من الهندوس قادر على قطع المسافات الواسعة بدون وسيلة انتقال، ثم قال: والى وقريب من هذا يذهب الصوفية فهو يقطع المسافات الواسعة بدون وسيلة انتقال، ويموت متى ما أراد، ولا شك أن هذا افتراء وكذب ممن يدعي حصوله على ذلك.

وقال نيكلسون(١): واستغراق الصوفي في نشوة الفناء غاية المطاف عند بعض الصوفية؛ فلا تقوم بينهم – إن بلغوها – وبين العَالَم صلة ما، ولا يبقى فيهم من أنفسهم شيء، فهم قد ماتوا من حيث إنهم أفراد وهم غرقى في التوحد، لا يدرون ما الشريعة ولا الدين ولا يعرفون رسماً من رسوم كون الظواهر(٢).

وثمة شبيه للفناء، في الفيدانتا، أو الفيدانت(٣) الهندوسية تلك الفكرة التي تسود نغمتها جوانب الفكر الهندي بأسره، وهي أن "الله" "براهما" والروح "أتمان" شيء واحد، وكُتُبْ أُبانشاد هي في الحقيقة خلاصة لفلسفة الفيدا؛ وتشتمل كتب "أُبا نشاد" على مبادئ التصوف من الذكر إلى الفناء(٤).

ومن المؤكد أن الفناء أشد اتصالا بفكرة الفيدانتا وما يماثلها من الأفكار الهندوسية، وخير دليل على ذلك أن أبا يزيد البسطامي كان من أهل خراسان وكان جده زرادشتياً(٥) وشيخه في التصوف كردياً، وبالتالي فإنه أخذ عقيدة الفناء الصوفي عن أبي علي السندي(٦)، الذي علّمه الطريقة الهندية والتي يسمونها مراقبة الأنفاس، ووصفها هو بأنها عبادة العارف بالله؛ ويؤكد ذلك(٧)، ما رُوي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: "صحبت أبا علي السندي فكنت ألقنه ما يقيم به فرضاً، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً"(٨). وقوله: "غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه

---

(١) هو: المستشرق، أرنولد ألن نيكلسون، كان مؤلفا منذ صدر شبابه، فقد نال كثيرا من الجوائز في جامعتي أبردين وكمبردج لتفوقه دراسته. ينظر: هامش سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ١٦٧)، وتصدير كتاب الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون.

(٢) ينظر: الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ١٥٠).

(٣) الفيدانتا: معناها في الأصل ختام الفيدات- أعني اليوبانشاد؛ أما اليوم فيطلقها الهنود، على المذهب الفلسفي الذي حاول أن يدعم بالمنطق بناء الفكرة الأساسية التي وردت في كتب "أُبانشاد"، قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت (٣/ ٢٦٨).

(٤) ينظر: التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان ظهير (١/ ١١٦)، وقصة الحضارة، ويليام جيمس(٣/ ٢٦٨).

(٥) زرادشتيا: من أتباع زرادشت وهو رجل من أهل اذربيجان ظهر فِي أَيَّام بشتاسف بن لهراسف وادّعى النُّبُوَّة فآمن بِهِ بشتاسف وأظْهر اسبديار بن بشتاسف دين زرادشت في العالم ولهم الكثير من الخرافات منها أن الله حارب مع الشيطان – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق/ علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط، ت) (١/ ٨٦).

(٦) هو: أبو علي السندي كان من أهل الحقائق والمواجيد. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (ت: ١٣٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت (ط: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) (١/ ٥٣).

(٧) ينظر: التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان ظهير (١/ ١١٧).

(٨) ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الطالبي (١/ ٥٣).

ذكرى أيامه، فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا"(١). وقوله: "ثم تنقلت من إله الى إله حتى نادوا مني فيَّ "أنت أنا"، وهذه كما ترى هي حلولية الفيدانتا"(٢).

إن نظرية الصوفية في فناء الشخصية تقرب من فكرة الجوهر الذاتي "اتمان"(٣)، إذا لم تكن تتفق معها تماماً، وتطلق الصوفية على هذه الحالة لفظ "الفناء" أو "المحو"(٤) أو "الاستهلاك"(٥).

وتظهر العلاقة والترابط بين التفاني أو النرفانا الهندوسي، وبين الفناء الصوفي؛ فكلاهما يسعى الى تحقيق سعادة الإنسان ومنحه الراحة الأبدية بالوصول إلى الغيبة أو الفناء في الإله الدائم بعد العناء من العمل القاسي، والمجاهدة المستمرة للنفس، وبناء عليه فالغاية واحدة، والهدف واحد.

المطلب الثاني: الديانة الجينية(٦) وأثرها في ظهور عقيدة الفناء الصوفي:

مؤسس الجينية: مؤسسها هو مهافيرا(٧): وتقول الروايات أنه غرق في تأملاته ورهبانيته معرياً جسده هائماً في البلاد لمدة ثلاثة عشر شهراً مداوماً على مراقبة نفسه في صمت مطبق، يعيش على الصدقات التي تقدم إليه.

حصل مهافيرا على الدرجة الرابعة مباشرة إذ كان مزوداً بثلاثة منها أصلاً كما يقولون، ثم تابع رحلة الرهبنة وهام على وجهه عارياً مهتماً بالرياضات الصعبة؛ من جوع، وسهر، وتأملات عميقة وعدم إحساس حتى حصل على درجة العلم المطلق، أو المرشد – بزعمهم –، فبدأ مرحلة الدعوة لمعتقده، فدعا أسرته ثم عشيرته، ثم أهل مدينته، ثم دعا الملوك والقواد، فوافقه الكثير لما في دعوته من ثورة على البراهمة، وبعد سنة من ذلك وصل إلى مرحلة "النجاة"(٨)، أو النرفانا.

تعريف النجاة: هي غاية الكون، والطهر من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية، والتخلص من قيود الحياة، ومن تكرار المولد والموت، والتمسك بالخير، والتخلي عن ارتكاب الشر(٩).

إن الديانة الجينية سبيلها التقشف والتشدد في العيش، وعمادها الرياضة الشاقة، والمراقبات المتعبة للنفس، وقد داوى الجينيون الميول والعواطف بإفنائها، ووصلوا بذلك إلى إخماد شعلة الحياة بأيديهم

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة، مصر (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) (١٠/ ٣٥).
(٢) الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ٢٨).
(٣) اتمان: "هو روح الأشياء كلها، هو روح الأرواح كلها". ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس (٣/ ٤٣).
(٤) المحو: هو رفع أوصاف العبادة. ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٨٠)
(٥) الاستهلاك هو"فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق. ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٦٨).
(٦) الجينية: لا شك أنها إحدى الديانات الهندية؛ وهي حركة عقلية متحررة من سلطان الويدات، أسس بنيانها على الخوف من تكرار المولد والهرب من الحياة. ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (١/ ١٠٤،١١٠).
(٧) يعتبر مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية، ولد عام (٥٩٩ ق.م)، ينحدر مهافيرا من أسرة من طبقة الكاشتر المختصة بشؤون السياسة والحرب، عاش حياته الأولى في كنف والديه متمتعاً بالخدم والملذات العادية، وكان شديد التقدير والاحترام لوالديه، تزوج ورزق بابنة، ولما توفي والده، استأذن أخاه في التخلي عن ولاية العهد والتنازل عن الملك والألقاب، ترهبن مهافيرا في سن الثلاثين، وعلى يديه تبلورت معتقداته التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا، (ت: ٥٢٧ ق.م). ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (١/ ١٠٦ – ١٠٩).
(٨) ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (١/ ١٠٦ – ١٠٩).
(٩) ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (١/ ١١٤).

أملاً في الحصول على النجاة[١]. لأن النجاة طور من أطوار الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية، والشخص الناجي ليس بذي جسم مادي، وليس بطويل، ولا قصير، ولا لون له، يحيط بكل شيء، مطلق من جميع القيود، يكون دائماً في سرور وطمأنينة واستقرار ونعيم مقيم، مكانه فوق الخلاء الكوني، وليس للنجاة نهاية فهي أبدية سرمدية، ولا تحصل إلا بعد عبور المرحلة البشرية بما فيها من عوائق ومتاعب، لأنها غاية الكون ولا نجاة بالمعنى الحقيقي الا للبشر كما قال مهافيرا في وصفه للحياة والنجاة[٢].

السبيل الى النجاة: أو الى النرفانا: إن السبيل للحصول على النجاة عند الجينيين شاق، وعسير، ولا يطمع فيه إلا الخاصة من الرهبان، وللوصول إلى النجاة يتحتم على الناسك ألا يوقع الأذى بإنسان أو حيوان، وعليه أن يدرك أن احترام الحياة أقدس ما عنى به مهافيرا، ولذلك يحرم على الإنسان أكل اللحوم وقتل الحيوان[٣].

وعلى مريد "النجاة" التمسك بالخير والابتعاد عن الشرور والذنوب والآثام، ولا يصل إليها الإنسان إلا بعد أن يقتل عواطفه وشهواته ومشاعره جميعاً، حتى لا يشعر بحب أو كره، وبحزن أو سرور، وبحرّ أو برد، وبخوف أو حياء، وبخير أو شرّ، وبجوع أو عطش، حتى يصل إلى درجة من الخمود والجمود والذهول بحيث تُقْتَل في نفسه جميع العواطف البشرية، فلا يشعر بما حوله، ودليل ذلك أن يتعرى فلا يحس بحياء، وينتف شعره فلا يحس بألم، لأنه لو أحس بما في الحياة من خير وشر وآلام، فمعنى ذلك أنه لا يزال متعلقا بها، وهذا يبعده عن الحصول على النجاة، وأبرز هذا المعتقد هو التعري، والجوع حتى الموت، ولذلك سميت الجينية دين التعري ودين الانتحار[٤].

ولا شك أن القارئ لعقيدة الصوفية، والعارف بأحوالهم، ورياضاتهم ومجاهداتهم من أجل الحصول على الفناء يلاحظ تشابهاً كبيراً في ذلك مع عقيدة "النجاة" في الديانة الجينية، لأن الفناء والنجاة قائمان على قتل العواطف والمشاعر والشهوات، وتعذيب النفس وتجويعها، وتحمل المتاعب والمشاق، والتعري، ويكفي للاستشهاد على ذلك، بقول البسطامي حينما سئل: "بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار"[٥]. وكذلك ما ثبت من سلوك إبراهيم العريان[٦]: بأنه كان يطلع المنبر ويخطب عريانا[٧].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١/ ١١٠).
(٢) ينظر: المرجع السابق (١/ ١١٤، ١١٥).
(٣) ينظر: المصدر السابق (١/ ١١٥).
(٤) ينظر: أديان الهند الكبرى، احمد شلبي (١/ ١١٤، ١١٥).
(٥) الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ٥٧).
(٦) هو إبراهيم العريان: إذا دخل بلدا سلّم على أهلها كبارا وصغارا بأسمائهم، حتى كأنه تربى بينهم – بزعمهم - كأنه يعلم الغيب)، مات سنة نيف، وثلاثين وتسعمائة. ينظر: الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشَّعْراني (ت: ٩٧٣هـ)، مكتبة محمد المليجي، مصر (د. ط: ١٣١٥هـ) (٢/ ١٢٤).
(٧) ينظر: الطبقات الكبرى، الشَّعْراني (٢/ ١٢٤).

قول القشيري: "إذا قال الصوفي: بعد خمسة أيام أنا جائع، فألزموه السوق وأمروه بالكسب"(١).

ولا يمكن أن يَفْهَم القارئ من جواب البسطامي وسلوك العريان، إلا أن غلاة الصوفية أخذوا عقيدة التعري والجوع من عقيدة مهافيرا مؤسس الجينية؛ فقد هام عارياً ثلاثة عشر شهرا ولا مجال للتشكيك في ذلك أو إنكاره.

ومن المؤكد أيضاً أنه لا فرق بين قول القشيري: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب، وقول الجينية: إن الراهب الجيني، لو أحس بما في الحياة من خير وشر، فمعنى ذلك أنه لا يزال قلبه متعلقاً بالدنيا خاضعاً لمقاييسها، وهذا يبعده عن النجاة؛ بمعنى أن كل من شعر بالجوع أو أحس بما في الحياة من الخير والشر، ما زال راغبا فيها؛ وبالتالي فلا يحصل على النجاة أو النرفانا عند الجينيين، أو الفناء عند غلاة الصوفيين.

قال القشيري: "واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها: فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات"(٢).

ثم قال: وأشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة(٣).

ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً؛ ولا رسماً؛ يقال: إنه فنى عن الخلق وبقي في الحق.

ففناء العبد عن أفعاله الذميمة، وأحواله الخسيسة لعدم هذه الأفعال، وفناؤه عن نفسه، وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فنى عن الأفعال، والأخلاق، والأحوال، فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجوداً.

وإذا قيل: فنى عن نفسه؛ وعن الخلق، فنفسه موجودة، والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم ولا به، ولا إحساس، فيكون غافلا عن نفسه وعن الخلق أجمعين، غير محس بنفسه وبالخلق(٤).

فإذا فنى العبد عن صفته، يرتقي عن ذلك بقائه عن رؤية فنائه؛ وأفناه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق(٥).

(١) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ٢١٨).
(٢) المرجع السابق (١/ ٢١٨).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٧٠).
(٤) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٧١).
(٥) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٧٢).

ويظهر من كلام القشيري أن عقيدة غلاة الصوفية في الفناء تأثرت كثيرا بعقيدة الجينية في النجاة؛ إذ إن فكرة فناء الصوفي في الحق، وشهوده واستهلاكه في وجود الحق تتفق تماماً مع فكرة الجينيين القائلة إن الروح الخالصة النقية الحائزة على النجاة هي "الله" وتكون كذلك أسوة لأرواح العالم في سيرها إلى النجاة كما سبق ذكره.

المطلب الثالث: الديانة البوذية(١) وأثرها في ظهور عقيدة الفناء الصوفي:

كانت البوذية في البداية طائفة صغيرة ثم نمت وانتشرت حتى صارت إحدى ديانات العالم الكبرى، ومن أهم عقائدها "النرفانا" وتعني في تعاليم بوذا إخماد جميع شهوات الفرد، وما يترتب على ذلك الإنكار للذات من الثواب؛ ويعنون بذلك الفرار من العودة إلى الحياة.

ولكن النرفانا في الأدب البوذي، يتخذ معنى دنيوياً، إذ يصف القديس في الأدب البوذي مراراً بأنه اصطنع النرفانا في حياته الدنيا بجمعه لمقوماتها أو مكوناتها السبع وهي: السيطرة على النفس، والبحث عن الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركيز، وعلو النفس(٢).

ولكن هذه المقومات السبع لا تكاد تكون عواملها الأساسية في وجودها، لأن العامل المسبب لوجودها والذي تنبثق عنه النرفانا، هو إخماد الشهوة الجسدية؛ وعلى ذلك تتخذ كلمة نرفانا في معظم النصوص الأدبية معنى السكينة التي لا يشوبها ألم، والتي من خلالها يستطيع المرء؛ إعدام نفسه إعداماً خلقياً(٣).

ولذلك قال بوذا: والآن فهذه هي الحقيقة السامية عن زوال الألم؛ إنه في الحق فناء المرء حتى لا تعود له عاطفة تشتهي، إنه إذا اطراح هذا الظمأ اللاهث، والتخلص منه، ونبذه من نفوسنا نبذاً لا عودة له وأعني به هذه الحُمَّى التي تنتابنا من شهوتنا في البحث عن أنفسنا(٤).

وكلمة النرفانا في تعاليم بوذا تكاد دائماً ترادف في معناها كلمة "نعيم"؛ وهو رضا النفس رضىً هادئاً بحيث لا يعنيها بعدئذٍ أمر نفسها(٥).

وقريب من هذا قول القشيري: وإذا قيل: فنى عن نفسه؛ وعن الخلق، فنفسه موجودة، والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم ولا به، ولا إحساس، فيكون غافلا عن نفسه وعن الخلق أجمعين، غير محس بنفسه وبالخلق(٦).

---

(١) البوذية: أسسها سدهارتا ولد سنة (٥٦٣ ق، م)، عاش في نعيم كما يعيش أبناء السادة والملوك، ولكنه لم يستسلم للملذات والشهوات، واستقر رأيه على أن يدع نعيم الحياة ويبدأ حياة الزهد، فقرر السعي لمعرفة أسرار الكون، وقد سلك من أجل ذلك وسائل متعددة كالتصوف والفلسفة، ثم انجذب نحو دنيا الرهبنة. ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (١/١٣١ – ١٣٤).
(٢) ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس (٣/ ٨٤، ٨٥)، أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (١/١٣١ – ١٣٤، ١٥٢).
(٣) ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس (٣/ ٨٥).
(٤) ينظر: المصدر السابق (٣/ ٨٥).
(٥) ينظر: المصدر السابق (٣/ ٨٥).
(٦) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٧١).

ولكن النرفانا الكاملة تقتضي العدم وبالتالي فثواب التقوى في أسمى منازلها هو ألا يعود التقي إلى الحياة؛ ولذلك يقول بوذا: وإذا ما أصلحنا أنفسنا وشهواتنا إصلاحاً يقتضيه الكل، عندئذ لا تعود أشخاصنا بما ينتابها من خيبة أمل أو هزيمة، وما يعتريها من مختلف الآلام ومن موت لا مهرب منه ولا مفر، لا تعود هذه الأشخاص تحزننا حزناً مريراً كما كانت تفعل بنا من قبل؛ عندئذ تفنى هذه الأشخاص في خضم اللانهاية[١].

ويؤكد بوذا أن شقاوة الإنسان وآلامه بسبب شهوته؛ وأنها مصدر الشقاء والآلام ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى النرفانا ويجد النعيم والراحة إلا إذا تمكن من قتل شهوته بأي وسيلة تمكنه من ذلك ليصل إلى الفناء في الكائن الأعظم؛ لأن الوصول إلى ذلك هي غاية الوجود الإنساني – بزعمهم – والخلاص من ربقة الجسد وانطلاق الروح لتتحد مع الخالق.

وبهذا يتأكد أن الفناء الصوفي انتقل إلى غلاة الصوفية من نرفانا ديانات الهند الكبرى وهذا واضح ولا يحتاج إلى كثير من الأدلة، بل يكفي لبيان ذلك ذكر بعض الأقوال لأبي يزيد البسطامي ومنها قوله: "صحبت أبا علي السندي فكنت ألقّنه ما يقيم به فرضا، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا"[٢].

فالنص لا يفهم منه سوى أن أبا يزيد كان يعلّم السندي الفروض الدينية، باعتباره حديث عهد بالإسلام، مقابل تلقيه عن السندي علم الحقيقة والفناء، الذي لم يكن على علم به[٣]، كما سبق بيانه.

بل إن من تعريفات الفناء عند الصوفية، ما يدل من الناحية الخلقية بأنه محو الصفات الذميمة، والتخلق بكل خلق حميد، وقول غلاة الصوفية بوسائل قمع الشهوات، يتفق مع قول بوذا ويدل على تأثر الصوفية في إفناء الفناء، بنرفانا ديانة بوذا[٤].

إذاً فالنرفانا البوذي والفناء الصوفي مفهومان يتحققان بنفس الطراق، ولهما نفس الغاية، مع بعض الفروقات اللفظية بين "أنت هو ذاك"، وبين "أنا الحق"، وبين "سبحاني ما أعظم شأني"[٥].

ويؤكد أهل الأديان أن الطور الأول عند غلاة الصوفية، وهو تغير معنوي للروح بإفناء ميولها ورغباتها جميعاً؛ يشبه النرفانا البوذية تمام الشبه إذ هي إفناء صفات النفس وأحوالها الذميمة، وهذا

---

(١) ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس (٣/ ٨٥).
(٢) التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان ظهير (١/ ١١٨).
(٣) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر/ حسن عباس زكي، القاهرة (د. ط) (١٤١٩ه) (٥/ ١٧٩)، والتصوف، المنشأ والمصادر، إحسان ظهير (١/ ١١٧، ١١٨).
(٤) ينظر: التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان ظهير (١/ ١١٦).
(٥) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي المكي (٢/ ١٢١).

الفناء يستلزم في الوقت عينه بقاء الصفات والأحوال الحميدة "النفس الأخلاقية"، ويشير الطور الثاني من أطوار الصوفية إلى النفس العاقلة المدْرِكة [١].

إن غلاة الصوفية – بزعمهم – أن الصوفي إذا قال: "هو"؛ فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر "الله" فيكتفي الصوفي بذلك عن كل بيان؛ لاستيلاء ذكر الله على أسرارهم وفنائهم عن حقائقهم ويقصدون بذلك غيابهم عن عالم الشهادة، وهي عقيدة الفناء في "الله، وهي من عقيدة الباطلة مستوردة من عقيدة "النرفانا" في ديانات الهند الكبرى.

ويؤكد ذلك قول القشيري: وأفناه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق[٢].

ولكي يبلغ المرء البوذي أرقى درجات "الفناء" يتقدم مرحلة بعد مرحلة، متبعاً طريقاً يتكون من مراحل ثمان؛ وهي الطريق السوي، وللصوفية طريقتها أيضاً، ومراتب الترقي فيها، والسائر فيها يسمونه من أهل السلوك.

وفكرة الصوفية في فناء النفس الذاتية في الوجود الكلي هي وبدون أدنى شك من أصل هندي، ولعل أول من قال بها؛ أبو يزيد البسطامي الصوفي الفارسي، ومما يؤكد ذلك أيضاً، قول أبو يزيد: "للخلق أحوال، ولا حال للعارف؛ لأنه مُحِيت رسومه، وفَنِيت هويته بهوية غيره، وغُيِّبَت آثاره بآثار غيره"[٣].

وقوله: "غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكرى أيامه، فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا"[٤].

وقول القشيري: ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً؛ ولا رسماً؛ يقال: إنه فنى عن الخلق وبقي في الحق[٥].

وبناء على ذلك يرى الباحث أن عقيدة الفناء الصوفي هي فكرة النرفانا في ديانة الهند الكبرى ومنها البوذية، فالنرفانا والفناء؛ كل منهما يعني خلاص الروح من ربقة الجسد لتتحد مع الخالق الأبدي – بزعمهم – وبالتالي تفنى شخصية المخلوق في الإله، وتتحد به للحصول على الحياة الخالدة الأبدية السرمدية، وهكذا فإن عقيدة الفناء والنرفانا متفقان في الأصل والغاية.

قال نيكلسون: وبما أن "الفناء" حالة أخلاقية فإنه يطابق "النرفانا" طباقاً يكاد يكون "كلمة" لكلمة، وبالتالي لعلنا نستطيع أن نقول؛ "إن نظرية "الفناء" الصوفية تأثرت الى حد كبير بالبوذية[٦].

(١) ينظر: الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ٦٦).
(٢) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٧٢).
(٣) الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ٢٨).
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١٠/ ٣٥).
(٥) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١/ ١٧١).
(٦) ينظر: الصوفية في الاسلامي، رينولد نيكلسون (١/ ٣٠).

ومما هو معلوم أن البوذية قد سادت خرسان قبل الفتح الاسلامي، كما سادت بلاد فارس الشرقية، ومن هنا كان لا بد أن تؤثر في نمو الصوفية في هذه البلدان(١).

ومن ثم نستطيع القول: إن الصوفية في البلاد العربية تأثرت كثيراً بالنرفان في ديانات الهند الكبرى ومنها، البوذية التي سادت بلاد خراسان وشرق فارس؛ لأن الناظر في عقيدة "الفناء" يجد أنه لا فرق بينها وبين "النرفانا" وهذا يؤكد أن عقيدة الفناء انتقلت بعد ذلك من بلاد فارس وخرسان الى البلاد العربية، ولذلك "فالفناء" هو "الفناء" هنا أو هناك "والفناء" يكاد يكون "النرفانا" في ديانات الهند الكبرى.

(١) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٩).

الخـاتمــة:

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ومقترحاته:

أهم النتائج: توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى نتائج من أهمها:

أولاً: أن عقيدة "الفناء" عند غلاة الصوفية لها علاقة وطيدة بديانات الهند الكبرى.

ثانياً: أن عقيدة "الفناء" عند غلاة الصوفية لها أنواع وأطوار متعددة.

ثالثاً: أن عقيدة "الفناء" الصوفي عبارة عن فناء الوجود الحسي في الحياة الربانية من أجل البقاء الأبدي.

رابعاً: أن عقيدة الفناء الصوفي لا أصل لها في الدين الاسلامي الحنيف ولا دليل لهم عليها لا من القرآن ولا من السنة، ولا من العقل أو الفطرة بل أنها مناقضة لتوحيدي الربوبية والألوهية وفيها سوء أدب مع الذات الإلهية.

خامساً: أن عقيدة الفناء عند غلاة الصوفية لا وجود لها في عقيدة السلف الصالح، بل أن موقف السلف من الفناء الصوفي موقفا رافضا لها رفضا قاطعا.

سادساً: توصل الباحث – بما لا يدع مجالا للشك – إلى أن عقيدة الفناء الصوفي جاءت اليهم من ديانات الهند الكبرى.

التوصيات:

يوصي الباحث:

بضَرُوْرة دراسة عقيدة الصوفية الغلاة ومقارنتها بما في الديانات الاخرى، كالديانة الفارسية، والزرادشتية، والمجوسية، والبهائية، والديانة الشعبية الصينية، وغيرها من ديانات العالم؛ لمعرفة مدى ارتباط الصوفية الغلاة بهذه الديانات، لما في ذلك من بيان الصلة والتأثير والتأثر المتبادل بين الأفكار والمعتقدات في الحضارات الانسانية المتعاقبة.

وأخيراً أسأل الله – جل وعلا – أن ينفع الإسلام والمسلمين بذلك، وأن يكون ذلك في ميزان حسنات الباحث يوم القيامة وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة المراجع:

- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت (د. ط، ت).
- أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق/ عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت (ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية (د. م) (ط١٣: ٢٠٠٠م).
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق/ علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط، ت).
- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (ت: ١٣٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت (ط١: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين (د. م) (ط١٥: ٢٠٠٢م).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر/ حسن عباس زكي، القاهرة (د.ط).
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، شيخ الاسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق/ موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (ط٣: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. م، ط، ت).
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، محمد بن أحمد البيروني (ت: ٤٤٠هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد، الهند (د. ط) (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م).
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري (ت: ٦٦٨هـ)، تحقيق/ محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)

- التدمرية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق/ محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض (ط٦: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).
- التصوف، المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت: ١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان (ط١: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).
- التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط، ت).
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (د. م) (ط١: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت (ط٣: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).
- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق/ عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة (د. ط، ت).
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (د. م) (ط٣: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
- الصوفية في الاسلام، رينولد نيكلسون، ترجمه وعلق عليه/ نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٢: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق/ محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م، ط٢: ١٤١٣هـ).
- طبقات الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق/ أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (د. ط، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

- طبقات الصوفية، محمد بن الحسين بن محمد السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)
- الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشَّعْراني (ت: ٩٧٣هـ)، مكتبة محمد المليجي، مصر (د. ط: ١٣١٥هـ).
- طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق/ علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة (ط١: ١٣٩٦هـ).
- العبر في خبر من غبر. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق/ أبي هاجر محمد العبد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية – جدة (ط٤: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (ط١: ١٩٧٤م).
- فوائح الجمال وفواتح الجلال، نجم الدين كبرى (ت: ١٢٢١هـ)، تحقيق/ يوسف زيدان، دار سعاد الصباح، الكويت (ط١: ١٩٩٣).
- قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت: ١٩٨١ م)، تقديم/ الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة/ الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (د. ط، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارث المكي (ت: ٣٨٦هـ)، تحقيق/ عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط٢: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (ط١: ١٤٢١هـ).
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق د/ مهدي المخزومي، وآخرون دار الهلال (د. ط، م، ت).

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت (ط٣: ١٤١٤هـ).
- اللمع، لابي نصر السراج، تحقيق/ عبد الحليم محمود، وطه عبد الباري سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد (١٣٨٠هـ -١٩٦٠م).
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية (د. ط) (١٤١٦هـ -١٩٩٥م).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت (ط٣: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب (ط١: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة (د. ط، ت، م).
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي (د. ط، م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (ط١: ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق/أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (د. ط) (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د. ط) (١٩٠٠م).